أمين الباشا

المُنتَحِر

مسرحية

دار نلسن

المقهى

(تقوم المرأة. تقف قليلاً ثم تبدأ باستعراض معبّر عن غنج وخلاعية... الرجل يضع يديه على رأسه ويخفي وجهه... يتقدّم منها خادم المقهى يأخذها بين ذراعيه ثم يرقصان «تانغو» وما أن يراهما الزوج حتى يسقط الخادم على الأرض زاحفاً ومختفياً. وتكون المرأة قد عادت إلى مكانها).

المرأة : لمَ لا ترقص؟

الرجل : ارقص مع من؟

المرأة : مع ظلّك، حاول مرّة. أخاف أنك لن تستطيع الرقص معه.

الرجل : مع من؟

المرأة : مع ظلّك.

الرجل : آه لو تسكتين!

المرأة : لا تريدني أن أرقص ولا أن أتكلم ولا أن....

الرجل : (مقاطعاً) أن ماذا... آيه ماذا تقولين؟

المرأة : أن... لا.. لا شيء (يسود الصمت)

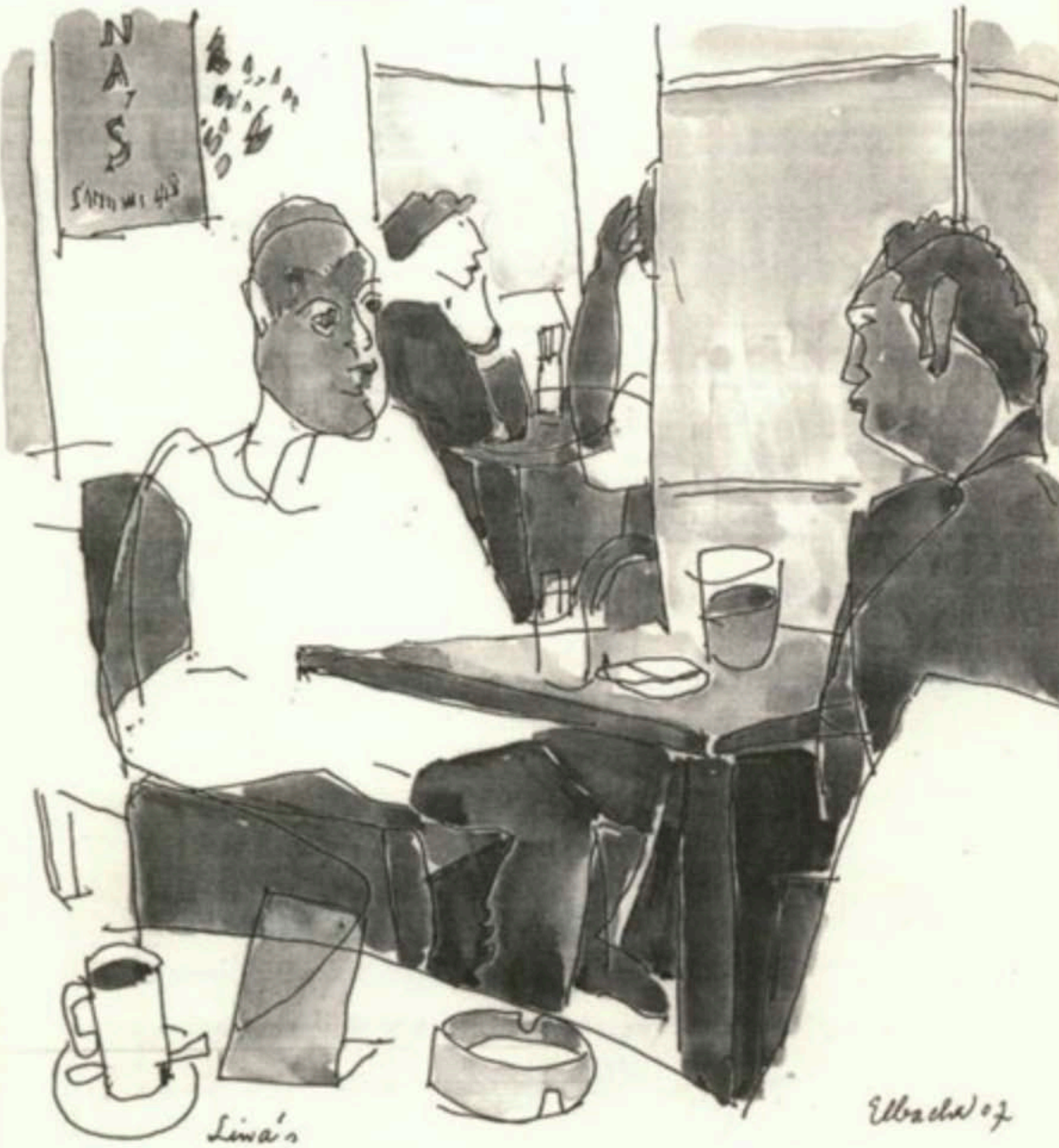

الكاتب والموظف

قرأته عليّ عاطل. عاطل. حتى الآن لم تقل شيئاً. إن قلت بعض الجمل فهي مني. علينا أن نتصارح. أنا أعلم إذا تصارحنا ستقع حرب بيننا كالماضي. ونعود لا نلتقي حتى بالصدّفة.

الكاتب : لا... أية حرب؟ انزع هذه الكلمة من قاموسك. لن تقع بعد أية حرب على الأرض. وأنت لا تستحق مني الحرب. بل معركة صغيرة. أنت غير مؤهل لحرب. حتى ولا لمعركة!

الموظف : أنا أتساءل كيف التقينا اليوم ولماذا؟ ولأي سبب... لا أعلم...

(هنا يقوم الموظف عن مقعده. يتمدّد على الأرض. ويبدأ بتمارين رياضية. المرأة تتمدّد على الكرسي وتحرّك ذراعيها ورجليها).

الكاتب : ماذا تفعل؟ هل جننت؟

الموظف : الجسم الجميل. إني أهيئ جسمي لأيام السلم الجميلة. أنت أقنعتني أن الحرب قد انتهت. السلم بحاجة لأجسام جميلة ليقوم بأعمال جميلة.

(تقوم المرأة. تدور حول نفسها).

الكاتب : تقول هذا وكأنك تعزّي نفسك. أنت لا تعلم أن عشرين سنة من الحرب أكلت من جسمك. شبابك ولّى. لم يبقَ من جسمك سوى الثياب. ابتدأت الحرب وانتهت. جسمك سار مع سير السنين. لا يبقى بعد كثير من السنوات. هل فهمت؟ أنت تجاوزت عمر الشباب.

(تكف المرأة عن دورانها حول نفسها ثم تعود وبحركات خلاعية. يعيدها زوجها إلى كرسيها بلطف).

الموظف : ماذا تقول؟ السنوات مرّت عليك أيضاً... وعليّ قليلاً... رأسك... انظر إلى رأسك... شعرك لا لون فيه.

(تفتح المرأة حقيبتها. تُخرج منها أحمر الشفاه وغيره وتقوم بتزيين وجهها وبيدها اليسرى مرآة... تنتهي من هذا وتروح بتسليط النور من المرآة على طاولة الرجلين حيث يكون الضوء ضعيفاً).

الكاتب : اسمعني. أنت تتكلّم ولا تهتم بما أقوله.

الموظف : قل شيئاً. أنت تكتب ولا معنى لما تكتبه.

الكاتب : إهدأ، إهدأ.
(يقوم الموظف ببعض التمارين ويجلس قائلاً)

الموظف : أنا ما زلت شاباً. إذا أردت البرهان فأنا مستعد.

الكاتب : يبقى الشباب إذا حرّكت رأسك. دماغكَ. لهذا أنا أكثر شباباً منك. المهم أننا متفقان.

الموظف : أبداً. أنا لست متفقاً معك. لعنة الله على هذا النهار.

الكاتب : (محاوراً نفسه) لماذا أكتب؟... لست أدري... آه... أكتب لئلا أنسى... سأكتب... سأتابع الكتابة... أكاد أنسى ما أكتبه...

الموظف : لماذا نحن هنا؟ لأي سبب؟ هل تذكر ما قلته في هذا الصباح؟... أنا نسيت... لا... أذكر أن رجال الإطفاء بزيّهم الأحمر يطفئون البحر. ورجل قفز من على الصخرة... وفتاة بكت.

الكاتب : أذكر أنك أخبرتني أن مدير دائرة عملك غائب. لهذا، ستأتي لمرافقتي.

الموظف : يجب أن لا نكف عن الكلام لئلا ننساه.

الكاتب : أنا... سأبقى أتكلم وأكتب لأقول الأشياء المهمة.

الموظف : أتذكّر الآن شيئاً... أنت خرجت باكراً لتبحث عن مكان هادئ لتكتب مقالة عن سبب انتحار الرجل الذي رأيته يتدحرج على الصخور.

الكاتب : صحيح.

الموظف : انتبه! هو لم يتدحرج! ثم أنت لم تكتب هذا الموضوع. قلت أن هذه الحادثة هي التي حفزّتك للكتابة.

الكاتب : أعتقد أني كتبت ما يجب كتابته. لا بد من أن يأتي إنسان ويفهم ما أودّ أن أقوله.

الموظف : ماذا تريد أن تقول؟

الكاتب : الكلمات تفسّر حالها. هي ليست بحاجة لمن يفسّرها. الكلمة وُجدت لأنها تحمل معنى. لماذا تريد مني أن أفسّرها لك وهي واضحة كالشمس؟

الموظف : المغيب. الغروب. لقد مضى الغروب. هذا أول غروب للشمس لا أحضر مغيبها.

الكاتب : وتسألني لماذا لم أكتب عن المنتحِر؟ إن ما كتبتهُ اليوم يكفي.

الموظف : مشيراً إلى الغروب وإلى السّحاب والبحر (يُسمع صوت الأمواج) المغيب... السّحاب تلحق به... تتفتت بالسماء... اختفى الأزرق فيها...

الكاتب : أنا أكتب ما يجب عليّ أن أكتبه.

الموظف : هذا طير وحيد، يقفز من غيمة إلى غيمة.

(المرأة تشير بيدها إلى السماء كأنها تبحث عن الطير. يظهر خادم المقهى. يقوم برقص كأنه يناجي الطيور والغروب وترافقه المرأة بالرقص).

الكاتب : ولِمَ أكتب؟ ولمن؟

الموظف : غروب الشمس سحر... كل غروب يختلف عن غروب آخر... لكل غروب شكل وألوان مختلفة.

الكاتب : اسمَعْ!

الموظف : أنظرْ!

الكاتب : اسمعني قليلاً.

الموظف : أنظر معي إلى هذا السحر. ستختفي الشمس.

الكاتب : كل شيء يعود.

الموظف : من يغيب يبقى غائباً. الشمس تعطي أملاً بالعودة... هي تعود دائماً.

الكاتب : نحن... بل أنت إذا غبت فغيابك يكون إلى الأبد...

(المرأة بصوت عالٍ: Non Non الرجل Si Si).

الموظف : وأنت أيضاً... نحن نذوب كالغيوم.

الكاتب : أنا أنظر إلى بزوغ الفجر. إني أفكر. أكتب... أنت لا تفارق الغروب. تذهب إليه. أنا أبقى لأني أكتب وأقول أفكاراً لا يستطيع غيري أن يقولها.

الموظف : لماذا نحن هنا؟ من جمَعَنا وكيف التقينا؟ بل من أين أتينا وإلى أين نحن ذاهبان؟

الكاتب : الصدفة... ألم تقل أننا نلتقي بالصّدف؟

الموظف : الذي جمَعَنا هنا هو المنتحر... المنتحر هو موضوع مقالك الذي لم تكتبه.

الكاتب : كتبت ما عليّ كتابته. أعتقد أني أفرغت كل ما كان يختمر في رأسي. وعندما طفح الكيل أفرغت على الورق أفكاري وآرائي.

الموظف : طفح الكيل فأشرب منه لئلا يسيل على الأرض.

الكاتب : تريد كيلاً مختمراً؟ أنا سأكون مرافقك الآن. النهار ولّى فهاتها يا ساقي مشتاقة تسعى إلى مشتاق.

(دخل الساقي خادم المقهى. يضع كأساً كبير الحجم قرب الكاتب وكأساً صغيرة الحجم قرب الموظف. ما أن أدار ظهره حتى ناداه الموظف بإشارات دون صوت. يدور حوار صامت وبالإشارات يكاد يتحوّل إلى مشادّة. يجلس الموظف على كرسيه عندما يبدأ الخادم بحركات ملاكمة مستعرضاً قوّته. بينما يكون الكاتب مبتسماً فرحاً بما يراه وكأن خادم المقهى قام ببعض الثأر له).

(ثم يعود الساقي ويقدّم بدلال كأساً للمرأة. يقترب منها كثيراً. يناولها ورقة سرّاً. تضعها في صدرها. الساقي يداعب المرأة. يضع يده على رأسها وعلى ظهرها. الزوج يقرأ في صحيفة. يعود الساقي خارجاً من على الخشبة للوراء. ناظراً إلى المرأة. المرأة تسأل زوجها: كم اليوم؟ ويجيبها الزوج: الدولار بـ ١٥٠٠ ليرة).

الموظف : (بصوت خافت) أرجو أن لا تقع صدفة أخرى. من الآن سأرفض الصّدف.

الكاتب : أرجو أن تقع صدفة أخرى (يضحك) سأقرّر أنا الصدّف.

الموظف : كنت أودّ أن يحصل شيء في هذا النهار. هذا اليوم من أقسى أيامي.

الكاتب : لأنك لم ترَ المغيب.

الموظف : ليس لهذا. هناك أسباب كثيرة. منها شوقي إلى مكتبي المريح... المريح... اسمع لم أفهم منك شيئاً. أخبرتني عن المنتحِر لكنك لم تقل شيئاً ولم تعلمني عن سبب هذا الانتحار.

(يقوم من مقعده ويسير قليلاً ثم يلتفت إلى الكاتب ويشير إليه باصبعه كأنه يريد أن يقول له شيئاً وهو بحالة عصبية، ثم يعود إلى مقعده ويقرب رأسه من الكاتب) ويقول:

هل سألتني رأيي بالانتحار؟ هل سرت في الشارع سائلاً الناس عن انتحارهم اليومي؟... هل تعلم كم مرّة في اليوم أفكر أنا بالموت؟ (أخذ يتمتم بكلمات غير مفهومة وبصوت منخفض).

الكاتب : تفكر بالموت لأنك تعيش كالآخرين.

الموظف : أسكت أرجوك. يكفيني فلسفة هذا النهار.

الكاتب : كل شيء فلسفة. وجودنا معاً فلسفة... ضع كلمة وأنظر إليها نظرة فلسفية تصبح فكرة فلسفية.

الموظف : يكفيني فلسفة هذا النهار. أنت تكرّر الكلمات نفسها حتى أنها أصبحت لا معنى لها. فلسفة. حريّة. حتى أن كلمة الوطنية تكاد تفرغ من معناها.
(يسود صمت. ثم يتغيّر صوت الكاتب ويقول بهدوء...).

الكاتب : أعتقد يا صديقي أن الملل هو قاتلك. ملل الوظيفة. هل يُعقل أن يبقى إنسان عاقل على نفس الكرسي طوال عمره؟ ألا تفكر؟ ألم تفكر يوماً بسياسيين يبقون في مراكزهم السياسية طوال عمرهم؟ ويحاربون في سبيل سلامة الكرسي؟ (يغيّر من لهجته) اسمع يا صديقي. المسألة ليست أن أكتب وأفكر. المسألة هي لمن أكتب، ومن سيقرأ ما أكتبه.

الموظف : أنت... أكتب... إذا كتبت ما يهمّ الناس، فالناس تهتم بما تكتب. أما إذا بقيت كما اكتشفتك اليوم فإن كثيرين من الناس سينتحرون

ولن يروا منك مقالاً... ثم إن عملي الوظيفي ليس مملاً.

الكاتب : أتمنى لك هذا. لكني إذا كتبت ما يهمّ الناس... ماذا يهمّ الناس؟ أنت تعلم ما هي اهتمامات الناس... يا ناس (رافعاً يديه إلى السماء).

الموظف : الحق... الحق أقول لك.

الكاتب : تعني أن أكتب إلى من يهمّه الأمر؟

الموظف : وإن كانت جملة نستعملها عشرات المرّات يومياً، فهي تلفت وتجعل القارئ يقرأ العنوان والمقال ويشعر أن ما يقرأه هو موجّه إليه.

الكاتب : أو لا صلة له به.

(الموظف يقوم بتمارين رياضية. واقفاً ماداً ذراعيه إلى فوق ثم ينزلهما ببطء إلى رجليه ليلمس حذاءه. يصل إلى لمسه في المرّة الثالثة. الكاتب مشدوهاً ينظر إليه. وما أن يلمس حذاءه حتى يقفز فرحاً، منتصراً صارخاً. تفعل المرأة نفس الشيء ولكن بإغراء. عدّة مرّات. يظهر خادم المقهى يقف ناظراً إلى المرأة. يقترب منها

قافزاً في بهلوانية ويقوم بحركات رياضية ممزوجة برقص. تقترب المرأة منه، يصرخ زوجها: Non. Non ثم يأخذها من يدها ويشدّها إليه ويعيدها إلى كرسيها بالقوّة.

الموظف : لقد لمستها... لمستها.

الكاتب : ماذا حصل؟ ماذا لمست؟
(يتقدم من الموظف مقترباً جداً منه. ينظر في عينيه).

الموظف : أنت ماذا حصل لك؟ ألم تعرفني بعد؟ هذا أنا.

الكاتب : انتهت القصة. انتهت القصة. أنت مجنون.

الموظف : منذ سنين لم أستطع لمس رجليّ وأنا منتصب هكذا (ينتصب كالجندي) منذ ما قبل الحرب.

الكاتب : أصبحنا مجانين.

الموظف : لمست رجليّ.

الكاتب : تفرح لهذا. عجيب. تصرخ كلما لمست عضواً من جسمك؟

الموظف : ليس كل أعضاء جسدي. الآن فهمت لمَ التقينا صدفة هذا اليوم. التقينا لكي ألمس رجليّ.

الكاتب : المجتمع. المنتحِر. البؤس. الحرب. السلم. كل هذا لم يجمعنا؟

الموظف : التقينا لكي ألمس رجليّ.

(يقوم بحركات رياضية. تنظر إليه المرأة وتقدّم كرسيها منه قليلاً. يبقى الرجل في مكانه. يدخل شاب أنيق في زيّ رمادي وقميص أبيض وربطة عنق خضراء يحمل في يده حقيبة. يجلس على كرسي مديراً ظهره للجمهور. يفتح الحقيبة يأخذ مرآة يضعها على الطاولة وينظر إليها. الكل يحدّقون به. يقوم الكاتب والموظف للخروج بعد أن يضع الكاتب دراهم على الطاولة. تمدّ المرأة يدها لتأخذ الدراهم لكن الموظف يسبقها في ذلك ويضع الدراهم في جيبه فيما يكون الخادم ينظر إليهما. يهجم على الموظف ويحدث عراك بينهما. عراك راقص. ينتهي بأخذ الدراهم من الموظف. وهم خارجون تقترب المرأة من الموظف وتقبّله سرّاً. يخرج الكاتب والرجل وتبقى المرأة والموظف. تتقدّم منه وهو يبتعد قليلاً ثم يقف فتأخذه بين ذراعيها وتقبّله. يتراجع عنها ويحرّك ذراعيه كأنه يبدأ برياضته).

المرأة : ضاحكة ها ها ها ها

الموظف : ها ها

المرأة : هي هي... اش اش (وهي تتقدّم من الموظف ويتعانقان).

الموظف : هي هي... آخ (بسرور) (موسيقى).

المرأة : ها ها ها ها... خي... خي... (بسرور).

(يدخل الكاتب والرجل وتصمت الموسيقى وينخفض النور على المرأة والموظف).

الرجل : كَ. لا. ما. كَ. تيسي. فيك.

الكاتب : مانوشو. البلد في تي كي.

الرجل : صحيح. كَ. لا. ماك. مِن شرا. فيك.

الكاتب : هذا ما أعنيه. في تي مانو أن تافيك.

(تنخفض الأنوار. يتسلط النور على طاولة الشاب والمرأة لأكثر من دقيقة ثم تطفئ الأنوار عليه. تظهر المرأة والرجل والكاتب والموظف واقفين يتكلمون).

الكاتب يفكر

الأربعة : لا مي في كا. عك. سر. فيك. طز. فش. ها ها ها ها.
[يأخذ الموظف المرأة بيدها ويضمّها إليه. ثم يقفز قفزة رياضية معبّراً عن فرحه. ثم يعود إليها ويحاورها بالإشارات وهي تنظر إليه نظرة حب. والرجل والكاتب يتحاوران في تمتمات وإشارات كثيرة (موسيقى)].

الكاتب : المسألة ليست انتحار إنسان. المسألة هي وجود هذه الصخرة التي تدعو الناس إلى الانتحار. لو لم تكن موجودة في هذا المكان لما عرف الناس معنى للانتحار. الحق على الفرنسيين!

الرجل : أنتِ باب برنسي!

الكاتب : نعم. ثم إن المنتحِر وجد حلاً لحياته.

الرجل : تي تي تي (هازاً رأسه بالموافقة).

الكاتب : أنا مسرور. مسرور بمعرفتك وبالسهولة والبساطة في التحدّث معك.

الرجل : تي تي تي.

الكاتب : لم ألتفت مرّة واحدة في حياتي إلى هذه الصخرة الملعونة التي اسمها روشة... صخرة

بالفرنسية... الفرنسيون أتوا بها من شواطئ مرسيليا وثبّتوها هنا في بيروت.

الرجل : وي.. وي.. وي...

الكاتب : كثيرون من اللبنانيين الذين تعلّموا في المدارس الفرنسية، كانوا يأتون إلى هنا للانتحار، معتبرين أن سقوطهم في الامتحانات المدرسية والجامعية تجبرهم على السقوط من على الروشة.

(الرجل يلتفت إلى المرأة فجأة ويناديها).

الرجل : هو هو وي وي. كوا كوا.

(تأتي المرأة يتبعها الموظف. ينظر الرجل إلى وجه المرأة يتفحّصها ثم ينظر إلى كل قسم من جسدها. ثم يتجه إلى الموظف ويلكمه لكمة توقعه على الأرض. يحرّك الموظف ذراعيه قليلاً ورأسه ثم يتوقف عن الحراك. يتقدّم الكاتب من الرجل فتأخذه المرأة من ذراعه وتضربه ضربة توقعه قرب الموظف. ثم يخرج الرجل والمرأة. يظهر خادم المقهى ويبدأ بحمل الرجل الجالس لوحده مع مرآته ويضعه على الأرض ويقوم بلملمة الأوراق عن الأرض وتنظيف الطاولات

وهو يقوم بحركات بهلوانية. ثم تنطفئ الأنوار ويبقى نور مسلط على المرآة).
وتسدل الستارة.

(تمّت)